

مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية

أ. باديس لهويل

أ. نور الهدى حسني

جامعة محمد خيضر - بسكرة

ملخص: تشهد اللغات اليوم في عصر عرف تطورا وتقدما في جميع المجالات العلمية والتقنية والإنسانية، وما وفره ذلك من سهولة التواصل بين المجتمعات المختلفة، صراعا لغويا مع غيرها من اللغات المجاورة لها والبعيدة عنها، وكنتيجة لهذا الصراع والانفتاح الحضاري الذي أدى إلى سيطرة لغة الأقوى علميا وتقنيا صار الأفراد يقبلون على تعلم اللغات الأجنبية، ليظهر ما يصطلح عليه ب"التعدد اللغوي" (Plurilinguisme)، ويصبح قضية مركزية تشغل اهتمام كثير من الباحثين في تخصصات مختلفة، كاللسانيات، واللسانيات الاجتماعية، وتعليمية اللغات،.. لما يخلفه من آثار ايجابية وسلبية؛ فقد يكون وسيلة لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العصر، وقد تكون له آثار سلبية تمس الهوية الوطنية والثقافية، وتمتد للتأثير في المناهج الدراسية ومستويات تعليمها اللغوية.

لذلك تسعى هذه الدراسة إلى البحث في مفهوم التعدد اللغوي، وضبط مصطلحاته، ثم بحث مظاهره وأسباب حدوثه، لننتقل إلى دراسة الوضع اللغوي بالجزائر، ثم تحليل آثار التعدد اللغوي على الدول إيجابا وسلبا وخاصة في الجزائر، وأثره على تعليمية اللغة العربية، مع محاولة تقديم بعض الحلول الكفيلة بتجاوز الظاهرة واستغلالها إيجابا.

Résumé: Aujourd'hui les langues ont connu, dans une époque du développement au niveau de tous les domaines scientifiques, techniques et humains, cela facilite la communication entre les différentes sociétés, alors, les langues se conflits entre autres langues près à elles ou loin. Le résultat normal de ce conflit, et la civilisation, qui mène à la domination de la langue forte scientifiquement et technologiquement. Les gens se concurrent pour apprendre les langues étrangères ce phénomène prend le terme de **plurilinguisme** qui devient une affaire centrale préoccupée par nombreux chercheurs dans les différentes spécialités, comme la linguistique, la sociolinguistique et la didactique des langues, etc. A cause des effets que se soit positifs ou négatifs, certes, le plurilinguisme peut être un moyen pour faire face au développement scientifique et technologique de cette époque comme il peut avoir des effets négatifs touchent à l'identité nationale et culturelle. Il peut toucher même les programmes scolaires et leurs niveaux d'enseignement.

Pour tous cela cette étude tente à chercher la définition du plurilinguisme, et cerner ses concepts, puis chercher les causes de son apparition, pour arriver à l'étude du phénomène en Algérie, et analyser les effets du plurilinguisme dans les différents pays, positivement et négativement, surtout en Algérie, et son apport dur la didactique de la langue arabe, et en fin, on va donner quelques solutions pour en profiter et en exploiter dans un sens.

مقدمة:

لا جرم أن اللغة وسيلة تحقيق التواصل بين الأفراد والتعبير عن الأغراض والمقاصد، ولذلك يكون ارتباط الفرد بها شديدا في مجتمعه، فهي تعكس وجوده وهويته، وجزءا من شخصيته. هذه اللغة صارت اليوم في ظل ما يشهده العالم من تقدم علمي وثورات معرفية وتقنية في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية والإنسانية، وما وفره ذلك من سهولة التواصل بين المجتمعات المختلفة، لا الأفراد فقط، قلنا صارت تشهد تداخلا وتعددا وتزاحما من طرف لغات أخرى في إطار صراع لغوي مع غيرها من اللغات المجاورة لها والبعيدة عنها، بحكم التطور والانفتاح الحضاري وسيطرة لغة الأقوى علميا وتقنيا، وصار الأفراد من مختلف

دول العالم يقبلون على تعلم اللغات الأجنبية، ليظهر ما يصطلح عليه **بالتعدد اللغوي Plurilinguisme**، كأحد متطلبات المنافسة العالمية، ويصبح قضية مركزية تتجاذبها حقول معرفية مختلفة كاللسانيات واللسانيات الاجتماعية وتعليمية اللغات، ويشغل اهتمام الباحثين والمدرّسين لما يخلّفه من آثار بنوعها؛ ايجابية تسهم في تطور المجتمعات ومواكبتها العصر، وآثار جانبية تطل الهوية الثقافية والوطنية.

التعدد اللغوي Plurilinguisme: نقول عن دولة ما أنها متعددة اللغات حينما يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل، ونقول عن شخص ما أنه متعدد اللغات عندما يكون بإمكانه التعبير عن حاجياته ومقاصده والتواصل مع غيره بأكثر من لغة. ويمكن إذن لمصطلح التعدد اللغوي Multilinguisme، أن يحيل إلى استعمال اللغة أو قدرة الفرد أو على الوضعية اللغوية لمجتمع أو أمة كاملة⁽¹⁾، وعليه فإنه يمكن تقديم تعريف للتعدد اللغوي بأنه استخدام لغات متعددة في مجتمع واحد، وهو المعنى الذي تم الإشارة إليه "جون دييوا في" قاموس اللسانيات "«التعدد اللغوي: عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسية والاطالية والألمانية هي لغات رسمية بها»⁽²⁾، فالدولة متعددة اللغات هي التي يتكلم أهلها على الأقل لغتين ويتعاملون بهما، نحو سويسرا أو كندا حيث يتكلم جزء من سكانها الفرنسية، والأغلب منهم اللغة الانجليزية، وتوجد أقليات أخرى تتكلم لغات أخرى بنسب ضئيلة متفاوتة.

ويذهب الباحث المغربي "محمد الأوراعي" إلى تعريف يقارب ما سبق فيقول: «التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي Multilinguisme، وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميّزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التّساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والاطالية، في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة

كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشه والسوناى زارما والتماشيق والفولفولدة والتوبو في جمهورية النيجر»⁽³⁾

وغالبا ما يصنف التعدد اللغوي بشكل عام تحت مصطلح "الثنائية اللغوية" وذلك لإمكانية ايجاد فرد يتقن أكثر من لغة، وصعوبة وجود مجتمعات يتقن أهلها جميعا أكثر من لغة ويستخدمونها بشكل اعتيادي، وبناء على ذلك يرى "مايكل كلين" أن للتعدد اللغوي يصعب ضبطه بتعريف معياري، يمكن تقبله في الواقع، لأنه حينها يتطلب ممن يصطلح عليهم بثنائي اللغة أو متعددي اللغة «الحصول على قدرة متساوية في اللغات واكتسابها بشكل متزامن، أو استعمالها في نفس السياقات»⁽⁴⁾ وهو أمر كما تعلمون يصعب إثباته بالواقع، ولذلك تميل التعريفات اليوم إلى أن تكون عامة أكثر ومنهجية، واستنادا لذلك قدّم تعريفا للتعدد اللغوي كالآتي: «هو استعمال أكثر من لغة واحدة أو قدرة بأكثر من لغة»⁽⁵⁾.

ولا يكاد يخلو مجتمع أو بلد في العالم من التعدد اللغوي سواء لأسباب تاريخية نحو الاستعمار ومخلفاته الثقافية، أم اقتصادية أم لأسباب حضارية فرضها التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، كما أن الألفاظ تنتقل وتهاجر مما يؤدي لتداخلها ببعضها وتسربها من لغة لأخرى مع مرور الزمن، لكن يفترض أن يكون للغة المنشأ والتربية النصيب الأوفر في فرض أنساقها وأساليبها على اللغة الثانية ويكون هذا التداخل والتعدد اللغوي على مستويات أبرزها المستوى الدلالي، الذي نرى أثره كبيرا على اللغة العربية في كثير من مصطلحاتها حيث نجد نسبة كبيرة من الألفاظ والأساليب نقلت للعربية من اللغات الأجنبية نتيجة الاحتكاك بها بسبب الهجرة والتجارة وغيرها.

إلا أن تقبله يختلف من دولة لأخرى فهناك من اعتبره نعمة له فتشبت به وخطط له ليرفع شأنه من خلال آثاره الإيجابية المترتبة عنه، حتى صيرره التعدد اللغوي من الدول المتقدمة، وهناك من لم يحسن فهمه والتعامل معه ولا العمل به فكان نقمة عليه زاده تدنيا وتدهورا كحال دولنا العربية.⁽⁶⁾

وفي العرف اللساني يشير التعدد اللغوي إلى وجود أنظمة لغوية مختلفة للتواصل، ولكل نظام لغوي خصائص ومميزات، تختلف عن النظام اللغوي الآخر نحو ما بين العربية والفرنسية أو الإنجليزية.

فالتعدد اللغوي قضية مركزية ظهرت نتيجة حتمية لتداخل اللغات واللهجات وتتنوع الأنظمة اللغوية وأساقها داخل المنطقة الواحدة، هذا التعدد الذي قد يكون له فضل في إغناء اللغة ومساعدة المتعلم في تعلمه، كما يفرض على معلم اللغة أن يكون على دراية ومعرفة ضمنية بهذا التعدد، لكي ينجح في أدائه مهمته على أحسن وجه، كما يمكن أن يؤدي التعدد للبس صرفي ودلالي نتيجة تداخل الأنظمة اللغوية فيما بينها.⁽⁷⁾

وعليه فإن دراسة التعدد اللغوي يجب ان تتضمن دراسة أنظمة اللغة وأساقها في الاتصال اللغوي وكذا وظائف اللغة في المجتمع ووضعيات الأفراد المتكلمين بأكثر من لغة في المجتمع الواحد لأن بينها جميعا علاقات تربطها، ولعل هذا ما جعل كثيرا من المجالات المعرفية تقبل على دراسة التعدد اللغوي نحو اللسانيات، والسوسيولسانيات، والسوسولوجيا وعلم اللغة النفسي وعلم النفس الاجتماعي والديموغرافيا.⁽⁸⁾

وما اشترك هذه المجالات المعرفية وأكثر في دراسة التعدد اللغوي إلا دليل على الأهمية البالغة التي توليها له الدول المتقدمة، لما يضمنه من تنوع بالأنظمة اللغوية فإن أحسن استثماره يمكن الاستفادة منه باستغلال ما يوجد في تلك الأنظمة اللغوية من خصائص وأساليب ومميزات وتوظيفها في تدريس اللغة المراد تعليمها بهدف التطور العلمي والحضاري، إيماننا منهم بأن التعدد اللغوي معطى حضاري مهم للتقدم العلمي والتكنولوجي.

كما أن هذا التعدد اللغوي يعتبر أيضا من أخطر الوضعيات اللسانية على الإطلاق وأعقدها» إذ غالبا ما تتركب اللغة لتحقيق أغراض سياسية وتتخذ ذريعة لإذكاء نزعات قبلية، وتثبيت هويات إقليمية، كالباسكية في اسبانيا، والكردية في العراق وتركيا، والأمازيغيات في الجزائر والمغرب، حتى إذا أخذ المجتمع في

التصدّع أعيد جبره بواسطة لغة السلطة التي يكتب لها الذبوع والانتشار بعوامل ثقافية وسياسية ودينية واقتصادية»⁽⁹⁾

وأحب أن أشير إلى وجود مستويين للتعدد اللغوي الاجتماعي ورسمي أما الأول التعدد اللغوي الاجتماعي: فهو قائم في المجتمع بحكم الواقع، فينشأ في المجتمع نتيجة عدة عوامل على رأسها الرحلات والهجرات نحو بلدان أخرى فتتكوّن أقبليات تتكلم بلغات غير لغات البلدان التي هاجروا إليها وتنتشر مع مرور الزمن، وكذلك الحدود بين الدول قد تؤثر في ظهور هذا النوع من التعدد والاستعمار بما يخلفه من آثار ثقافية في المجتمع ومنها لغته، وأما التعدد اللغوي الرسمي (Official)، فتحده الدولة وتعارف به رسمياً بدستورها، نحو ما نجده في كندا إذ هي دولة متعددة اللغة (ثنائية اللغة) رسمياً لإقرارها بالفرنسية والانجليزية دستورياً، وكذلك "سويسرا" نجدها متعددة اللغة رسمياً لإقرارها بذلك دستورياً فتكتب وثائقها الحكومية باللغات الفرنسية والجرمانية والإيطالية.

أما بالجزائر فيكتسي الوضع اللغوي طابع التعددية اللغوية وإن لم يقرها الدستور بصفة رسمية، إنها موجودة بحكم الواقع، حيث تدرس اللغة العربية والأمازيغية، والفرنسية، والانجليزية، والإسبانية والألمانية في بعض المناطق.

2- ضبط مصطلحي: سبق وأشرنا أن اللغات يحدث بينها ما يحدث بين بني الإنسان من احتكاك وصراع في سبيل البقاء والسيطرة وهو احتكاك من شأنه أن يفضي إلى تداخل اللغات وتفاعلها وتأثر إحداها بالأخرى، مما ولد ما يصطلح عليه بالتعدد اللغوي في جميع المجتمعات، واتخذ شكلين بارزين: الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية، فما العلاقة بينهما من جهة والتعدد اللغوي من جهة أخرى؟ وهل هما ظاهرة لغوية واحدة أم ظاهرتين؟ ثم ما العلاقة بين التعدد اللغوي وما يصطلح عليه بالتداخل اللغوي؟

أ- الازدواج اللغوي (diglossie) والثنائية اللغوية (bilinguisme): أشرنا إلى أن التعدد اللغوي في أبسط تعاريفه استخدام أكثر من لغة في التواصل اللغوي والتعامل داخل المجتمع سواء تعلق الاستعمال بشخص أو مؤسسة أو مجتمع أو

قطر من الأقطار، فنقول: شخص متعدد اللغة أو بلد متعدد اللغة أو معجم متعدد اللغة (10)

واحتكاك اللغة بغيرها من اللغات، حتما سيؤثر عليها إيجابا وسلبا، ويفرض عليها تغيرا يؤثر فيها بقدر ما اكتسبت من خصائص واقتبست من صفات، حيث قد يسود في المجتمع لغتان مختلفتان لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية، وقد يتعلم الفرد أكثر من لغة غير لغته الأم ليكتسب لغات ثانية، ليست من نفس أصل لغته، ونحن في الحاليتين أمام ظاهرتين لغويتين مختلفتين يكون في الأولى على معرفة بلغتين من أصل واحد الأولى لغته الأم والثانية لهجتها المحلية وفي الحالة الثانية يكون على دراية بلغتين مختلفتين في الأصل كالعربية والفرنسية مثلا، ونجد العلماء يختلفون في تحديد المقابل المصطلحي لكل حالة بين الازدواج اللغوية والثنائية اللغوية، فمنهم من يفرق بينهما على أساس أن الازدواج اللغوي (diglossie) يطلق على الوضعية اللسانية للدولة أو المؤسسة ويشمل أكثر من لغتين، بينما الثنائية اللغوية مرتبطة بالفرد الواحد متعدد اللغة.

ولم يظهر في اللسانيات مصطلح الازدواج اللغوي (diglossie) إلا في عام 1959 حيث أشار إليه اللساني الأمريكي شارل فرغيسون (charles ferguson) في بحث نشره بمجلة "اللغة" الأمريكية يقول: «الازدواجية اللغوية وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسة للغة (التي قد تشمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة) لغة تختلف عنها وهي مقننة بشكل متقن (إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات) وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية» (11)

بمعنى أن الازدواج اللغوي بمثابة تنوعات مختلفة للسان واحد أو أسلوبان مختلفان من نفس اللغة في مجتمع واحد. فيكون للغة الواحدة مستويان في الاستعمال واحد فصيح ومشارك يستعمل في المناسبات الرسمية والتعليم والعبادة

والإدارة، والآخر مستوى عامي يستخدم في المحادثات وللوفاء بمتطلبات الحياة اليومية والشارع وبعض أماكن العمل.

وهكذا نجد الازدواجية عند فرغيسون (ferguson) تقيم «مقابلة بين ضربين بدليلين من ضروب اللغة، ترفع منزلة أحدهما فيعتبر المعيار، ويكتب به الأدب المعترف به، ولكن لا تتحدث به إلا الأقلية، وتحط منزلة الآخر ولكن تتحدث به الأكثرية.»⁽¹²⁾

فالازدواج اللغوي عند "فرغيسون"، تنافس بين ضربين أو تنوعين لغويين للغة واحدة ولكل منهما وضع خاص من حيث الاستخدام داخل المجتمع وبين أفرادها. وهو بهذا المفهوم ظاهرة لغوية لا تكاد تخلو منه لغة على وجه الأرض، لأن اللغة حين انتشارها في المكان وامتدادها في الزمان لا بد لها من النمو والتغير في مفرداتها ونطقها وبعض خصائصها لعوامل عدة.

وكانت هذه الثنائية التي رسمها "فرغيسون" لتتوعي اللسان الواحد أساسا لمقترحات قدمها لساني أمريكي آخر يدعى "جوشوا فيشمان" (joshua fishman) سنة 1967⁽¹³⁾، حيث حاول توسعة مفهوم الازدواجية اللغوية ليشمل وضعيات لسانية لأشكال لغوية لا يربطها تعالق جيني، أو على الأقل متباعدة تاريخيا كما قد تشمل الازدواجية عنده ثلاثة أضرب أو أكثر من ضروب اللغة.

فإذا كان الازدواج اللغوي يحدد بهذه المفاهيم كما ظهرت مع فرغيسون (ferguson)، وتطورت مع "جوشوا فيشمان" (joshua fishman)، فما تعريف الثنائية اللغوية (bilinguisme) بعدها شكلا من أشكال التعدد اللغوي، وهل لها علاقة بالازدواج اللغوي؟.

ب - الثنائية اللغوية (bilinguisme): لعل محاولة تقديم تحديد واضح لمصطلح الثنائية اللغوية وكيفية ظهوره، قد يكون من الصعوبة بمكان لما وجدناه من اختلاف في ضبطها بين العلماء في كتبهم ومقالاتهم، وهو ما أشار له "أندريه مارتينييه" حينما رأى أن حدود هذه المصطلحات غير واضحة المعالم بحكم أنها

ظواهر لا تهتم علماء اللغة وحدهم بل يشترك فيها كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم.

فهناك من يرى أن ما أشار إليه "فرغيسون" من وجود ضربين من التنوع اللغوي للغة واحدة هو عينه الثنائية اللغوية، وفي هذه الحالة ستحمل نفس معنى الأزواج اللغوي، والدليل عدم اختلافهما في اللغة اللاتينية من حيث تعريفهما المعجمي، فكلاهما يحمل معنى حاصل ترجمته، «سلوك لغوي مثني أو مضاعف»⁽¹⁴⁾، وذهب "ج. فيشمان"، حينما وسّع مفهوم الأزواج اللغوي إلى عددهما وجهان لعملة واحدة، ولا فرق بينهما إلا من حيث الاستعمال فقط على مستوى الفرد والمجتمع يقول: «ثنائية اللغة صفة مميزة للتصرف اللغوي على المستوى الفردي، أما ازدواجية اللغة فإنها خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع، ثنائية اللغة هي سمة الاستخدام اللغوي من قبل الأفراد، بينما ازدواجية اللغة وصف لتخصيص المجتمع لوظائف معينة، للغات أو لهجات مختلفة»⁽¹⁵⁾.

الثنائية اللغوية (bilinguisme) يجعلها متعلقة بالفرد، في حين يسمى الثنائية اللغوية الاجتماعية ازدواجية لغوية (diglossie) .

ولا يزال اللبس بين المصطلحين غير هيّن بين الباحثين والمترجمين العرب وهو ما انعكس على كتابات الباحثين العرب جراء «ترجمة هذين المصطلحين، فمن ترجمهما عن الفرنسية خالف من ترجمهما عن اللغات الأوربية الأخرى، كما أن كثرة الدراسات وتشعبها في هذا المجال زاد من سوء الفهم وعدم وضوح الرؤيا عند علمائنا، فنجد من يستعمل مصطلح (Diglossia) ويقصد به الثنائية، ويستخدم (Bilingualism) ويريد به الأزواجية ومن يعمل عكس ذلك، ظهر هذا في الكتابات التي تناولت هذه الظواهر اللغوية»⁽¹⁶⁾، كما أن هناك فرقا في الاستعمال للمصطلحين بين الباحثين من المشرق العربي ومغربه.

ولعل هذا الاضطراب والغموض في تحديد المصطلح بدقة هو ما دفع الباحث "ميشال زكريا" إلى تقديم جملة من التعريفات للثنائية اللغوية أبرزها: «الثنائية

اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى. [وهي] الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية، لغتين مختلفتين»⁽¹⁷⁾

والذي نستقر عليه في ظل هذا اللبس للمصطلحين، والغلبة من مستلزمات المصطلح كما يقول الباحثون، أن الازدواجية تدل على تقابل شكلين لغويين أو نمطين يعودان للغة واحدة كاللغة العربية بين فصحاها وعامياتها، بينما تشير الثنائية اللغوية لضرورة وجود لغتين تتعايشان لكي يكون هناك ثنائية لغوية، إلا أنها تتفاوت فيما بينها إما على مستوى الكفاية اللغوية في اللغتين، وإما على مستوى استعمالهما. كما أن الثنائية اللغوية أشد ارتباطا بالفرد الواحد عكس الازدواجية فهي من خصائص الاستخدام اللغوي في المجتمع. وكلاهما طابعين لغويين يتمظهر فيهما التعدد اللغوي.

وعليه فتعريف الثنائية اللغوية (bilinguisme) الذي نعتمده فهو الذي يحددها من حيث أنها وبشكل خاص، استعمال لغتين بالتناوب.⁽¹⁸⁾

جـ التداخل اللغوي: لا جرم أن اللغة في احتكاكها بغيرها من اللغات تؤثر وتتأثر هذا التأثير ينعكس في ألفاظها ومفرداتها حيث تتسرب إليها ألفاظ أخرى وصفات نطقية صوتية وصرفية، وربما لم تكن موجودة فيها، فيحدث له ما يسمى بالتداخل اللغوي، حيث لا يمكن للفرد التمكن بلسانين مختلفين دون أن تجذب إحداها الأخرى وتأثر فيها بعاداتها النطقية وخصائصها على مستويات عدة أهمها المستويين الصرفي والدلالي، «وعلى العموم فإن مصطلح التداخل في عمومه يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف، وقد تكون للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل فعالية أكثر في تولد توجه سلبي أو ايجابي تجاه لغة ما أكثر من الأخرى، وهنا يظهر أثر اللغة الأجنبية في اللغة القومية»⁽¹⁹⁾ فهو بذلك ظاهرة فردية تمثل نتيجة عملية واضحة لظاهرة التعدد اللغوي في المجتمعات بمظهره الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، لعل من أمثلة

ذلك بعض الألفاظ الموجودة في العربية والمنقولة من اللغات الأجنبية؛ (ركبت الطاكسي (سيارة أجرة))، (عندي كونترول) نتيجة الاحتكاك الاجتماعي الذي مسّ بعض فئات المجتمع في التجارة والرحلات، وكذلك ما يجده بعض التلاميذ من صعوبة لتعلم العربية في بعض المناطق الجزائرية نتيجة عوائق لغوية على رأسها تعدد المرجعيات اللغوية، أمازيغية، وعامية وعربية، وفرنسية.

وقد عرفه "لويس .ج. كالفي" أخذاً عن فانريش (Uriel- weinriche) بقوله: «يدل لفظ التداخل على تحويل *Remaniement* للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناء مثل مجموع النظام الفونولوجي و جزءاً كبيراً من الصرف والتركيب، وبعض مجالات المفردات (القراية، اللون، الزمن...»⁽²⁰⁾ والتداخل اللغوي أنواع منها الصوتية والتركيبية والدلالية والصرفية، فمثلاً نجد في التداخل التركيبي عبارة "ممنوع التدخين" فهي جملة عربية لكنها كتبت بنسق لغوي فرنسي كترجمة حرفية لما في الفرنسية والأصل أن يقال بالعربية "التدخين ممنوع" كونها مبتدأ وخبر، ولا يتقدم الخبر عن المبتدأ إلا في حالات ليس من بينها هذه، وهذا يثبت مرة أخرى ما ذهبنا إليه من كون التداخل اللغوي نتيجة من نتائج التعدد اللغوي. فما أسباب هذا التعدد؟

3- أسباب التعدد اللغوي ومظاهره: ربما يكون تدفق السكان حول العالم نتيجة الرحلات والهجرات بين البلدان لعوامل مختلفة كالتجارة وطلب العلم والهروب من الاضطهاد وغيرها دوراً بارزاً في تنامي هذا الوضع اللغوي (التعدد اللغوي)، حيث تحفل البلدان المستقبلية لطوائف متعددة وأقليات أجنبية، تعيش فيها جنباً إلى جنب مع شعوبها، وتحمل معها ثقافات متعددة ولغات المتباينة⁽²¹⁾، نحو ما نجد في أمريكا وكندا وأستراليا، وفرنسا، ومناطق الخليج العربي، فتدخل اللغات في صراع مع بعضها ينتهي بتغلب احدهما على الأخرى أو تعايش اللغتين مع بعض دون غالب ولا مغلوب، والنتيجة حينها تعدد لغوي بمظهره وتداخل لغوي بمستوياته المختلفة، فلا يمكن للغة الخروج من صراع لغوي مهما كانت نتيجته دون أن يتأثر

قاموس مفرداتها اللغوية أو أساليبها في التعبير والنطق من التحريف والتسرب إلى لغة أخرى.

فالهجرة الجماعية سواء كانت لأسباب ثقافية أو سياسية، أو اقتصادية، أو دينية هروبا من الاضطهاد السياسي، أو العرقي، أو الديني، وحتى هروبا من الفقر والأمراض بحثا عن السلامة والأمن، كلها تؤدي لاحتكاك قوّي بين اللغات، ينعكس في شكل تداخل لغوي، أو ازدواجية، أو ثنائية لغوية داخل المجتمعات. كذلك يسهم الغزو العسكري في نشوء الثنائية اللغوية، مثلما حدث في الجزائر وغيرها من البلدان المجاورة حيث عمل المستدمر على طمس معالم اللغة العربية بكل ما أوتي وحاول ترسيخ لغته الفرنسية بين الشعوب المستعمرة مما أدى لازدواجية لغوية بقيت راسخة لليوم بما تحمله من آثار سلبية وإيجابية في الوقت نفسه.

ونسهم العامل الاقتصادي أيضا في نشوء الثنائية اللغوية وتمييزها، حيث تستدعي حركات التصنيع في كثير من البلدان استخدام عمال ذوي جنسيات مختلفة تفرض لغتها بطريقة غير مباشرة في أثناء المعاملة.

وقد يكون كذلك للعامل الاجتماعي والنفسي دور في ظهور التعدد اللغوي حيث نجد مثلا الزواج بين أصحاب جنسيات مختلفة تكون نتيجته جيلا من الأطفال ثنائيي اللغة، بحيث يحمل الأبناء لغة الأمّ والأب معاً، باصرار كل طرف على لغته وحتى التزاوج بين أفراد مجتمع واحد لكن من منطقتين مختلفتين يؤدي لظهور ازدواجية لغوية، تسبب للطفل فيما بعد تداخلا لغويا حين تعلّمه بالمدرسة، وأما العامل النفسي فيظهر اليوم بوضوح ويتمثل في فقدان الثقة باللّغة الأمّ، نتيجة فقدان الثقة بالنفس، كحال بعض الطلبة الذين يشعرون بالاعتزاز عند استخدامهم الألفاظ الأجنبية، لأنها لغة الغرب القويّ والمتحضّر والمتفوق، بينما يرون في العربية لغة الدول الضعيفة والمتخلفة، ولعل ضعف الدول العربية هو ما ولد في نفوس أهلها الشعور بالتخلف عند التحدّث بلغتهم الأمّ. والحق أنهم لا يتكلمون لغة أجنبية سليمة

ولا عربية فصيحة وإنما نتيجة هذه الثنائية اللغوية والتداخل صارت اللغة اليوم عند الكثيرين هجينا لا هو عربي ولا بالأجنبي.

ولعل أهم عامل وأخطره هو العامل التربوي حيث يسهم التعليم في انتشار ثنائية لغوية فلو كان في كافة مراحلها باللغة الأمّ لنهضت اللغة وتطورت، وانحصر اللغات الأجنبية، «ولكن المشهد التعليمي الجامعي في البلاد العربية يتناقض مع هذه الوجهة، إذ أنّ كثيرا من التخصصات تدرس بلغات أجنبية، لاسيما التخصصات العلمية؛ إذ تدرّس باللغة الفرنسية مما يجبر الطالب على الثنائية وذلك في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي، بالإضافة إلى أنّ هناك مصطلحات لا مقابل لها مما يفرض عليه استخدام المصطلح باللغة الأجنبية دون محاولة تعريبه»⁽²²⁾، إضافة إلى أنّ بعض الأسباب تتعلق بالإعلام المرئي والمسموع والمكتوب وما يلحظ فيه من خروج في كثير من الأحيان عن اللغة الأمّ إلى لغات أجنبية وعامية في محاولة لترويج إعلان أفضل وأرقى يجذب الانتباه.

فإذا كانت هذه أبرز الأسباب لظاهرة التعدد اللغوي، فما الذي يميز الوضع اللغوي بالجزائر في ظل ما سبق طرحه؟

4- سمات الوضع اللغوي بالجزائر: لخص الباحث لويس جون كالفلي الوضع اللغوي ببلدان المغرب العربي ومنه الجزائر، بوجود أربع لغات مستخدمة بتفاوت لأداء وظائف شديدة التنوع وهذه اللغات هي العربية الفصيحة والفرنسية واللغة الام التي تنقسم إلى لغة امازيغية في بعض المناطق ولغة عامية قريبة إلى الفصحى في مناطق أخرى، وهو كلام نقل عن "جيبليير غرانغيوم" (Gilbert grandguillaume) في كتابه عن التعريب والسياسة اللغوية في بلدان المغرب، يقول: «تستخدم في بلدان المغرب الحالي ثلاث لغات، العربية والفرنسية واللغة الأمّ أما الأوليان فلغة الثقافة، وهما لغتان مكتوبتان، وتستخدم الفرنسية أيضا لغة للمحادثة، غير أنّ اللغة الأمّ الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة هي العربية أو البربرية وليست هذه اللغة الأمّ إلا في حالات نادرة جدا، لغة مكتوبة».⁽²³⁾

وموقع هذه اللغات في الجزائر مختلف جدا ومتفاوت، لكن يظهر أنه يوجد تعدد لغوي واضح بالجزائر ومفروض بحكم الواقع سواء تم الاعتراف به أم لا من قبل الجهات الرسمية، فالواقع اللغوي الجزائري يوضح أن درجة استعمال اللغات في الجزائر ليس متماثلا، حيث تهيمن العاميات الجزائرية على السوق الشفوية، وتحقق تواسلا بين المجموعات اللغوية المختلفة، أما اللغة العربية الفصيحة واللغة الفرنسية فلا تستعملهما إلا طبقة من المثقفين وفي أماكن واضحة نحو المدارس والجامعات والمساجد بنسب متفاوتة والأماكن الإدارية. كما أن الأمازيغية، له تآدياتها المختلفة من منطقة لأخرى، وقد يوجد بينها اختلافات واضحة (شأوية وقبائلية، ومزابية...).

فالوضع اللغوي عندنا تسوده لغة عربية فصيحة هي اللغة الرسمية للدولة وتختلف عن اللغة الأم المكتسبة بالبيت، ثم فرنسية موروثة عن الاستعمار وكانت لفترة طويلة اللغة الرسمية للبلاد ثم أصبحت أجنبية بعد سياسة التّعرّيب، وهي اليوم حكر على الطبقة المترفة والمتقّفة وعلى مستوى السلطة والمسؤولين، هي مظهر من مظاهر الرقاهية والرقّي عندهم. يضاف لهذا لغات القبائل والشأوية والمزابية.. التي تتكلم بهم فئة معتبرة من المجتمع الجزائري في مناطق محددة. وعليه فالفرد الجزائري بين كل هذا يعيش وهو مزودا بنسق لغوي خليط، لما يحمله من مظاهر الازدواج اللغوي والتثنائية اللغوية.

أما الازدواجية فتربط العربية الفصحى بالعامية(الدارجة الجزائرية) وتتمظهر اللغة الفصحى العربية لدى فئة من المثقفين الجزائريين وبأماكن محددة كما هو الحال في المجال الديني والمؤسسات التربوية والإدارية وتستعمل أداة تعبير في الملتقيات الثقافية العالمية والآداب المكتوبة، في حين تتمظهر العامية الجزائرية في الاستعمال اليومي، وأكثر استخداماتها في المجالات الحميمية بين الأصدقاء وفي الأوساط الأسرية، وبعض الآداب الشفوية كالحكايات⁽²⁴⁾. وهذه الأخيرة (العامية) هي الأكثر ممارسة من طرف الأغلبية رغم عدم الاعتراف بها رسميا، ولكنها حاضرة في المشهد اللغوي الجزائري.

وأما الثنائية اللغوية في الجزائر، فيضفي الحديث عنها إلى التحدث في المقام الأول عن اللغة الفرنسية لما لها من مكانة مهمة في الساحة الثقافية وفي عقول الجزائريين لا سيما النخبة منهم حيث نجد الثنائية اللغوية (العربية/الفرنسية) تمارس في الجزائر بقدر من الحرية لا نجد له مثيلاً في غيرها من البلدان العربية.

ومعلوم أن الفرنسية انتشرت مع الاستعمار الفرنسي (1830/1962) وامتدت لجميع المناطق، وبقي تأثيرها قويا بعد الاستقلال، حيث تحتل مكانة مهمة مقارنة بغيرها من اللغات الأجنبية، بل وتوظف على نطاق واسع في التعليم الجامعي بالشعب العلمية والتقنية، وفي وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة وتستخدمها بعض فئات المجتمع للتواصل الشفهي، وهذا ما جعلها تؤثر على اللغة العربية وأساليبها، فلا جدال إذن في شيوع الثنائية اللغوية (عربية/فرنسية)، وإن لم تعترف بها الجهات الرسمية، وتعتبر هذه الثنائية اللغوية ظاهرة تاريخية ربما حتمتها ظروف البلاد سابقا، حيث كانت سبيلا أوحده لضمان التفوق والنجاح في المرحلة الانتقالية التي عرفت بها بلادنا بعد الاستقلال، بغرض الاستفادة منها للوصول إلى العلم والمعرفة، ولتتخذ مطية للوصول إلى الحضارة والتقنية.

بيد أننا اليوم نراها تؤثر وبصورة سلبية في المجتمع الجزائري، وتعليمية لغته العربية الفصيحة الممثلة لهويته ودينه وثقافته، إن لم توجه هذه الثنائية ويتم التخطيط لها بما يخدم المجتمع، لأن الوضع اللغوي الراهن يشير إلى ترسخ استعمال اللغة الفرنسية أكثر وبصورة دائمة، وصار الشارع إثرها ثنائي اللغة بدليل إشارات المرور، و لافتات المحلات، والكتابات على المباني العامة.

وتبقى اللغة الفرنسية هي اللغة المهيمنة على القطاعات الحيوية في المجتمع الجزائري، فهي لغة الصناعة والإدارة والمؤسسات الاقتصادية، كما أن فشل تعريب الجامعة الجزائرية واقتصارها على معاهد العلوم الإنسانية أكثر، بمقابل بقاء اللغة الفرنسية لغة التدريس في الكثير من المعاهد، أسهم في الهيمنة اللغوية للفرنسية، لذلك فالثنائية اللغوية في الجزائر رسّخها التعليم وعززتها السياسة ونشرتها وسائل الإعلام بين مختلف الشرائح الاجتماعية.

إن الوضع اللغوي في الجزائر يمكن أن نختصره بالقول: "لغات متعددة في خطاب واحد"، إنها الميزة الجزائرية، كما أن هذا التعدد اللغوي صار له أثر في بناء تفاوتات ودعمها وما علينا سوى تنظيمه وضبط توزيعه للتحكم فيه.

فالتعدد اللغوي أصبح يحدث ارتباكا على مستوى التعبير عوضا من أن يكون عامل إثراء وسلامة. والنتيجة أن أصبحت الغالبية الساحقة من الجزائريين بمن فيهم المتعلمون لا يتحكمون في أية لغة من اللغات.. فالمعرب لا يتقن العربية بالشكل المطلوب، والموصوف بالفرنسي لا يجيد الفرنسية والنتيجة أن اختلطت هاتان اللغتان باللهجة العامية وبقية اللهجات الأمازيغية، وعليه فالمحصلة النهائية أن لا لغة للجزائريين.

5 - آثار التعدد اللغوي على تعليمية اللغة العربية: صحيح أنه لا يكاد يخلو مجتمع من أحد أشكال التنوع اللغوي، فحتى المجتمعات التي تظهر أحادية اللغة بقوة القانون، نجد لها لا تفك من الوقوع بأحد مظاهر التعدد اللغوي الذي ينتشر بكثرة اليوم على نطاق واسع ويكون له أثر بارز فيها هذا الأثر قد يكون إيجابيا فيعود بالفائدة على الدولة التي خطت له، كما قد يكون وبالا عليها عن لم تحسن التعامل معه كما هو الحال في بعض بلداننا العربية، فكيف ذلك؟

يمكن للتعدد اللغوي أن يكون إيجابيا داخل المجتمع فيؤدي إلى التفاهم بين المجموعات ومعرفة متزايدة بعضها ببعض، يقول الباحث "أوفيليا غارسيا" «التربية الثنائية اللغة والمتعددة اللغة هي في الحقيقة تربية صحيحة متعددة الثقافة، تتجاوز التعبير عن الأحاسيس الإيجابية، لتمنح الناس وسيلة حالية وهي الثنائية اللغوية لخلق معرفة وتفاهم كبيرين»⁽²⁵⁾

كما يمكن استغلاله في محاربة بعض مظاهر التمييز العنصري وعدم المساوات بين المجموعات إضافة لكونه يمنح الطلبة ثنائيي اللغة والمعرفة إيجابيات معرفية متزايدة وتفكيراً خلاقاً ومنتشعباً جداً ويمكن في سن مناسبة للقدرة اللغوية أن يمنح الطلبة وعياً ميتاً لغويا واسعا.

فالتعدد اللغوي قد يكون ظاهرة طبيعية مفيدة في الدول إن اتخذ «مسلكا للتطعيم وانفتاح الثقافة الوطنية على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية»⁽²⁶⁾

وأبرز مثال نموذج الحضارة العربية الإسلامية حيث كانت توظف اللغات مثل الفارسية لخدمة العربية ولم تشك منها أبداً، وبذلك قد يكون التعدد اللغوي ظاهرة صحية تسهم في توسيع دائرة التفكير اللغوي والانفتاح على الثقافات المحلية والأجنبية تطعيماً للثقافة الوطنية دون أن يضر باللغة العربية إن أحسن استغلاله في مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي.

كما قد يكون ظاهرة مرضية حينما يستخدم مطية لتحقيق أغراض سياسية واقتصادية تضر باللغة الأم مثلما كانت تفعل السياسة الاستعمارية في الجزائر ولا تزال لكن بطرق أخرى، وعليه فالتعددية اللغوية «إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية فهي ظاهرة صحية وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكاً إيديولوجياً سياسياً تحت ألقنة مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعمار في شكله الجديد»⁽²⁷⁾.

ومن آثار التعدد اللغوي السلبية على المجتمع الجزائري وتعليمية لغته العربية نجد الصراع اللغوي بين العربي وغيرها من اللغات وما يخلفه من نتائج، وكذا ضعف الاعتزاز باللغة العربية والميل للتباهي باللغة الأجنبية كلغة حضارة، وكذا تلاشي الهوية لأن العربية بالنسبة لنا لغة موحدة للأمة العربية ولغة الدين والشخصية العربية بما تحمله من قيم روحية واجتماعية.

وأبرز آثار العدد اللغوي على تعليمية اللغة العربية تتمظهر في مستويات اللغة من صوت وصرف ونحو ومعجم وتداولية (استعمال اللغة في التواصل)، ذلك أن استعمال أكثر من لغة في التواصل يؤدي مع مرور الوقت إلى نوع ودرجة من الإدماج داخل النسق الصوتي والصرفي والتركيبية والدلالية، فيتم تدريباً تعويض بعض الأصوات بمتتاليات صوتية لا وجود لها، ويرد أيضاً تغيير في بعض

الأنماط والتراكيب النحوية التي لا وجود لها في أنماط العربية نحو (ممنوع التدخين)، والصواب (التدخين ممنوع) مبتدأ وخبر، فالذي حدث هو صياغة المثال الأول بنمط اللغة الفرنسية رغم أنّ الحروف عربية وهذا احد نتائج الثنائية اللغوية (عربية/فرنسية)، ذلك أن «تلقين لغتين في آن واحد يؤدي إلى تدافعهما لعدم استقرار نسقيهما في العضو الذهني المهياً لحفظ الملكة اللغوية المكتسبة»⁽²⁸⁾

كما أن التعدد اللغوي بشكله يؤدي إلى لبس دلالي لدى المتعلمين نتيجة تداخل ألفاظ اللغات ومعانيها فيما بينها لان لكل كلمة بأي لغة خصوصية معينة تجعلها تحمل ثقافة محيطها فإذا حدث أن انتقلت من لغة لأخرى للعوامل السالف ذكرها قد تكتسي صبغة مغايرة ودلالة جديدة تختلف بها عن أصلها الأول، مما يجعل للفظ الواحد أكثر من مسمى، فيسبب صعوبة في تحديد المعاني وضبط المصطلحات ويؤدي لعسر لغوي، وخطأ لدى المتعلمين «فالمفردة تعرف انتقالاً وتحركاً عبر النسق، مما قد يخلق لبساً دلالياً. ومن هذا المنطلق فإن استعمال اللغات المختلفة داخل القسم من قبل الأستاذ قد يخلق هذا المشكل خصوصاً إن كان من بيئة مختلفة عن بيئة عينة معينة من التلاميذ»⁽²⁹⁾

كما أن آثار التعدد اللغوي عدم التزام كثير من الأساتذة باللغة الفصحى داخل القسم، فيستخدم بعض ألفاظ لغة أجنبية أو لهجة منطقته، مما قد يسبب ظلماً لبعض الطلبة والتلاميذ الذين لا يفهمونها. لذلك فغن كان التعدد مغنياً للغة من جهة فغنه من جهة أخرى يسبب لبساً وغموضاً ويؤدي لكثير من الخلافات نتيجة سوء الفهم.

وواضح للعيان اليوم أن تعليم العربية لأبنائها ليس في وضع ملائم وحالته حرجة جداً بدليل أن المتخرج من الجامعة لا يحسن التكلم بالعربية، ولا يمكنه كتابة صفحة بالعربية الفصحى السليمة، ثم تغلغل هذا الإلْف وصار أمراً طبيعياً لا ندرك أخطاره لينسحب تدريجياً على النظرة الاجتماعية حيث صار الطلاب يعزفون عن الالتحاق بأقسام اللغة العربية ولا يدخلونها إلا مضطرين⁽³⁰⁾.

فما الحل للاستفادة من التعدد اللغوي في تعليمية العربية؟

6 - سبل الاستفادة من التعدد اللغوي لتنمية اللغة العربية وتعليمها: لا شك

في كون العربية لغة وطنية باستحقاق، وفي كل البلدان المنضوية تحت راية الجامعة العربية، لا الجزائر فقط، ولا تنازعها في هذه الخاصية لغة أجنبية ولا لهجة محلية مهما كانت مكانتها، غير أن الواقع اللغوي بالجزائر وسائر الأقطار العربية لا يؤيد ذلك، ولعل مردّه تخلف أهلها وعجزهم عن اللحاق بركب الحضارة عن حق مما أضعف لغتهم، لأن العلاقة بين نسق اللغة وبنية المجتمع متكاملة وطردية «فتخلف أهل العربية (في الثقافة الصناعية الحكرية، والثقافة البشرية المشاعة وفي حقول معرفية من الثقافة الوضعية) يجبرها بسبب علاقة التناكُل البنيوي⁽³¹⁾ على التخلف عن أكبر لغات العالم العالمة»⁽³²⁾

وبسبب هذا ربما لم تعد اللغة العربية مثلما كانت من قبل تكفي لنقل أهلها لأعلى مراتب الحضارة في عصرنا كنتيجة لضعف اعتزازنا بها.

ويمكن توظيف التعدد اللغوي في تعليمية اللغة العربية، إذا أمكن مراعاة خصوصية المتعلمين وحمولاتهم الثقافية واللغوية؛ من خلال استغلال مبدأ المقارنة ومنهجها في تعلم لغة ثانية بشرط أن يكون بينهما تشابه في البنى والأنساق لأن منهج المقارنة يسهم في فهم التعالق بين اللغات المتقاربة والمتشابهة في أنظمتها وأنساقها، مما يسهم في تسهيل عملية التعلم، حيث يعتمد على ما بلغته الأولى من معطيات لكشف معطيات اللغة الثانية، مع الإقرار بما قد تخلفه هذه المقارنة من التباس. وينطلب هذا من «مدرس اللغة كيفما كان نوعها الإمام بالأنظمة اللغوية التي تتداخل مع اللغة التي نود تعليمها، كما ينبغي أن يعي أن عدم معرفته بهذه المعطيات، يؤدي به في غالب الأحيان إلى الفشل في مهمته»⁽³³⁾

فاستغلال التشابه الموجود في الأنظمة اللغوية يعد أساسا في سبيل تعلم اللغة الجديدة، شرط أن تكون قريبة من اللغة الأولى.

إن اللغة العربية اليوم تعاني ازدواجية لغوية تتمثل في وجود مستويين فيها هما اللغة الفصحى للكتابة والمناسبات الرسمية، واللغة العامية للاستعمال اليومي، وفي كلا المستويين تراحمهما اللغة الفرنسية لتشكل ثنائية لغوية أيضا تفرض منطقتها

على لغتنا وتعرقل استعمالها، ولذلك على السلطات والهيئات الرسمية القيام بتخطيط لغوي منظم وموجه يرمي إلى تنمية الفصحى على حساب العاميات واللغة الأجنبية، ولا بد لهذا التخطيط أن ينتج سياسة لغوية تشمل على جوانب لسانية وتربوية، وإعلامية واجتماعية، مرتكزها الاقتصار على استخدام الفصحى في جميع مراحل التعليم ومستوياته وتخصصاته ومنع استعمال اللهجات والعاميات في جميع وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وكذا استعمال الفصحى فقط في الإدارات وجميع مرافق المجتمع وهيئاته، دون إهمال باقي اللغات الوطنية ومحاولة تنميتها وتعليمها بطريقة منظمة مخططا لها، وتعلم اللغات الأجنبية في مراحل عمرية مدروسة جيدا، فهذه السياسة اللغوية لا تحاول نفي العاميات أو إعاقة تنميتها، ولا تقف ضد تعلم اللغات الأجنبية لكن لا يجب تركها تؤثر على اللغة الأم بالسلب، إذ اللغة العربية وظائف عديدة مهمة تؤديها لا مناص من ضرورة الحفاظ عليها، خاصة وأنها تعتبر «بالنسبة للجماعة معيارا أساسيا غير رسمي لعضوية الجماعة»⁽³⁴⁾.

وعليه فقد يكون من الأحسن وضع سياسة لغوية وطنية عقلانية، ويكون لنا مركزا يبحث في سبل استغلال التعدد اللغوي ومظاهره في العملية التربوية بعد أن نقوم بمعاينة الواقع اللغوي ببلادنا، وتصحيح سياساتنا اللغوية وتكييفها للتعامل مع مستجدات الوضع الحالي.

وإذا كان العنصر البشري هو الأساس في كل تنمية اقتصادية كما تجمع تقارير التربية والتكوين الدولية (نحو تقرير اليونسكو عن التربية في العالم سنة 1993) فإن هذا العنصر البشري لا يدرك بغير «بنية تعليمية مكوناتها الرئيسية: المناهج التربوية الهادفة، والمُدْرَس الخبير، والإدارة المؤهلة، والعدّة التجريبية الواردة، والبنيات الكافية، وفوق كل ذلك لغة تلقين عالمة، وسليمة من آفات الازدواج اللغوي»⁽³⁵⁾

مما يعني ضرورة وضع سياسة لغوية محكمة البناء، تكون سبيلا لتجاوز آثار التعدد اللغوي، وتهدف إلى تنمية اللغة العربية وتمكين أفراد مجتمعاتنا منها أداء وصياغة، استيعابا وتعبيرا، وتبنى معالم السياسة اللغوية، كما سبق وبيّنا، على عدة

جوانب، أشار لها الباحث علي القاسمي وهي⁽³⁶⁾: **جوانب لغوية**: تشجّع فيها البحوث والدراسات المتعلقة بإغناء مفردات اللغة العربية ومصطلحاتها، وتيسير قواعد كتابتها، وتوفير أدوات استيعاب العربية وخاصة المعاجم المتنوعة المختصة ولمختلف الأغراض والمراحل العمرية مطبوعة وعلى الشابكة، وتفعيل المؤسسات التي تعنى بتنمية اللغة العربية كالمجامع اللغوية، ومنحها سلطة فعلية على الاستعمال اللغوي في البلاد.

وجوانب ثقافية واجتماعية: تشجّع فيها صناعة الكتاب وقراءته، وترفع عنه جميع الحواجز الجمركية التي تقف عائقاً في وجه إنتاجه وتوزيعه واقتنائه، وإنشاء مراكز قومية للترجمة من العربية وإليها وفق تخطيط محكم في اختيار الكتب ودعم المترجمين وتشجيعهم، وتنمية النشر الإلكتروني بالعربية ودعم إنشاء المدونات ذات التخصصات المختلفة. وتشجيع جميع مؤسسات المجتمع المدني على استخدام العربية الفصحى في جميع اجتماعاتها وأنشطتها، ومحاولة كتابة جميع اللافتات بالعربية، عدا التي يقصدها الأجانب فتكتب إلى جانب العربية بلغات أجنبية وبحروف صغيرة.

وجوانب إعلامية: يتم فيها سن قانون ملزم باستعمال اللغة الفصحى فقط في جميع وسائل الإعلام حكومية كانت أم مختصة، وفي جميع برامجها الدينية والثقافية والسياسية والترفيهية. مثالنا في ذلك، أن القوانين في فرنسا وألمانيا وبعض الدول المتحضرة تمنع استعمال العاميات في وسائل الإعلام بل وتعاقب على اقتراف خطأ لغوي فيها.

وجوانب تربوية: تطبق من خلالها قوانين التعليم الإلزامي للجميع لسد منابع الأمية، ويفرض استعمال اللغة الفصحى في التعليم بجميع مراحل ومستوياته وتخصصاته، مع الإقرار بضرورة تعلّم اللغات الأجنبية، لكن دون التعليم بها بتاتا مع استخدام العربية الفصحى في البحث العلمي ونشر البحوث في دوريات عالمية يمكن بعدها ترجمتها للغات أخرى أجنبية.

وكذا إنشاء مراكز بحوث تربوية تعمل على تطوير تعليم العربية للناطقين بها وبغيرها، والاستعانة بأفضل الطرق التعليمية والوسائل المعينة الحديثة.

خاتمة:

هذا هو السبيل للنهوض باللغة العربية وتجاوز مشكلة التعدد اللغوي ومظاهره فهو ظاهرة طبيعية توجد في كثير من اللغات، إن لم نقل كلها وما علينا سوى ضبطه وتوجيهه وحسن استخدامه، فإن أحسنا استثماره يمكن الاستفادة منه باستغلال ما يوجد في تلك الأنظمة اللغوية من خصائص وأساليب ومميزات وتوظيفها في تدريس اللغة المراد تعليمها بهدف التطور العلمي والحضاري، لكونه معطى حضاري مهم للتقدم العلمي والتكنولوجي. ورغم أن التعدد اللغوي بمظهره (الازدواج اللغوي، والثنائية اللغوية) مستفحل بالجزائر بشكل كبير، إلا أنها تبقى مجرد تنوع ثقافي، لغوي يثرى لغتنا في حال ما استعملناه بشكل نظامي وواع حتى لا يؤثر في اللغة العربية الفصحى.

الهوامش:

(1) ينظر: مايكل كلين: التعدد اللغوي، ضمن كتاب دليل السوسيو لسانيات، تحرير: فلوريان كولماس، ترجمة خالد الأشهب، وماجدولين النهيبي، مراجعة ميشال زكرياء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009، ص649.

2 - J..Dubois et autre: Dictionnaire de linguistique, paris, Larousse, 1973, p:368.

(3) محمد الأوراعي: التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1، 2002، ص11، وينظر هامش الصفحة 05.

(4) مايكل كلين: التعدد اللغوي، ضمن كتاب دليل السوسيو لسانيات، تحرير: فلوريان كولماس ص650.

(5) المرجع نفسه.

(6) ينظر: ديدوح عمر: الصراع اللغوي في الجزائر تأزيم الهوية، (<http://www.almarefh.net>) الساعة: 20:14، تاريخ الاطلاع: 2013/04/16).

(7) ينظر: عبد العزيز بلفقيه: التعدد اللغوي والليس الدلالي وأثره على التعلم (www.almothaquaf.com)، الساعة 14:22، تاريخ الاطلاع: 2013/04/05).

- (8) ينظر: مايكل كلين: التعدد اللغوي، ضمن كتاب دليل السوسيولسانيات، ص653.
- (9) محمد الأوراعي: التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص12.
- (10) ينظر: علي القاسمي: التعدد اللغوي والتنمية البشرية، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد16، 2012، ص9، 10.
- (11) علي القاسمي: العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية، أعمال الندوة الدولية الفصحى وعامياتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2008، ص200؛ وينظر: مايكل كلين: التعدد اللغوي، ضمن كتاب السوسيو لسانيات، ص447.
- (12) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص79.
- (13) ينظر: هارولد ف. شيفمان، الازدواجية اللغوية باعتبارها وضعية سوسيو لسانية، ضمن كتاب السوسيو لسانيات، ص451.
- (14) ينظر: إبراهيم كايد محمود: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل(العلوم الإنسانية والإدارية)، السعودية، المجلد الثالث، العدد الأول، مارس 2002، ص55؛ لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص80.
- (15) ينظر:
- (16) إبراهيم كايد محمود: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، ص59.
- (17) ميشال زكرياء: قضايا ألسنية وتطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص35، 36.
- (18) المرجع نفسه: ص37.
- (19) صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط3، 2000، ص124.
- (20) لويس جان كالفي: علم الاجتماع، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبية للنشر، 2006، ص27.
- (21) المرجع نفسه.
- (22) عناني وليد، وبرهومة عيسى: اللغة العربية و أسئلة العصر، دار الشروق، عمان، ط1 (2007)، ص106، 107.
- (23) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص89.
- (24) ينظر: عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1995، ص104، وينظر الصفحة: 142.

- (25) أوفيليا غارسيا: التربية الثنائية اللغة، دليل السوسيو لسانيات، تحرير: فلوريان كولماس ص877.
- (26) ديدوح عمر: الصراع اللغوي في الجزائر تأزيم الهوية، (<http://www.almarefh.net>) الساعة: 20:14، تاريخ الاطلاع: 2013/04/16).
- (27) المرجع نفسه.
- (28) محمد الأوراعي: التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص59.
- (29) عبد العزيز بلفقيه: التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعلّم (www.almothaquaf.com)، الساعة 14:22، تاريخ الإطلاع: 2013/04/05).
- (30) ينظر: عبد الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية د ط، 1995، ص88.
- (31) التشاكل البنوي: بمعنى أن علاقة اللغة بالمجتمع وثيقة الصلة (علاقة تعلق)، وما يحصل في بنية أحدهما لا يكون بمنى عن الآخر، فاللغة والمجتمع متلاحمان ومتلازمان كل يعطي ويأخذ وبقدر الأخذ والعطاء يكون نصبيهما من التأثير والتأثر.
- (32) محمد الأوراعي: التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص165.
- (33) عبد العزيز بلفقيه: التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعلّم (www.almothaquaf.com)، الساعة 14:22، تاريخ الإطلاع: 2013/04/05).
- (34) فرحي سعيداني دلية: التخطيط اللغوي في ظل وظائف اللغة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر/بسكرة، الجزائر، العدد29، 2013، ص215.
- (35) محمد الأوراعي: التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص13.
- (36) ينظر: علي القاسمي: العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية، ص207 وما بعدها.